PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(5): 257-270
ISSN: 1553-6939

Nigerian Poetry and the Arabic Language
-A Linguistic Study of Cognitivism and Its Variations-

Dr. Mohamed Elamine Barkat [1*], Dr .khalissa bareche [2*]

[1]The Higher Normal School of Teachers, Mostaganem -Algeria- (Language and Algerian Literaturel Laboratory)

[2]University Mohamed Boudiaf-M'sila -Algeria (Laboratory of theoretical and applied linguistic studies at the University of M'sila)

[1*] Affiliation email: amine.barkat.ens.mosta@gmail.com , ORCID iD Link 1(https://orcid.org/0009-0009-0991-0661)
[2*]Affiliation email: khalissa.bareche@univ-msila.dz , ORCID iD Link 2(https://orcid.org/0009-0006-1070-6674)

Received:13 /05/2024 ،Published: 25/07/2024

ABSTRACT:

Talking about the future of the Arabic language in African countries is talking about the eloquent linguistic situation in Sub-Saharan Africa, in various fields related to the language, especially those related to computerization. Poetry collections constitute blogs that express the history of nations and the originality and flexibility of their language, and Nigerian poets have made great contributions. Not only did it preserve the features of eloquent Arabic expression, but it also absorbed the most prominent methods and mechanisms, thus opening the way for a mental treatment of language that corresponds to computer processing in its most skilled software. Hence our choice of the topic: "Nigerian Poetry and the Arabic Language - A Linguistic Study of Cognitive and Its Variations," in an attempt to answer the problem. : To what extent have Nigerian poetry collections been able to enrich the Arabic language in light of contemporary methodological and cognitive developments, especially those related to Cognitive and computing?

Keywords:
Arabic language - Sub-Saharan - Poetry collections - Nigeria – Cognitive

الشعر النيجيري واللغة العربية ـ دراسة لسانية للعرفانية وتنوعاتها ـ

د. محمد الأمين بركات*[1]، د. خليصة بارش*[2]

[1] المدرسة العليا للأساتذة بمستغانم، الجزائر، amine.barkat.ens.mosta@gmail.com

[2] جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر، khalissa.bareche@univ-msila.dz

الملخص:

يعتبر الحديث عن مستقبل اللغة العربية في دول إفريقيا وصفٌ للوضع اللغوي الفصيح في جنوب الصحراء، في مختلف الميادين ذات الصلة باللغة، والذي يتسم بالاحتشام؛ ذلك أنّ اللغة العربية في هذه الدول ليست لغة رسمية، كما أنّ التعدد اللغوي له أثره في تضييق الاستعمال الفصيح، مع ذلك يزخر الفكر النيجيري بتراث لغوي عربي أصيل، وتُشكل الدواوين الشعرية النيجيرية مدونات تعبر عن تاريخ الأمم وأصالة لغتها ومرونتها، والشعراء النيجيريون قدّموا إسهامات جليلة لم تحفظ معالم التعبير العربي الفصيح فحسب، بل استوعبت أبرز المناهج والآليات، لتفتح بذلك المجال لمعالجة ذهنية للغة تقابل معالجة الحاسوب في أمهر برمجياته، ومن هنا جاء اختيارنا لموضوع: "الشعر النيجيري واللغة العربية ـ دراسة لسانية للعرفانية وتنوعاتها"، في محاولة للإجابة عن إشكالية: إلى أي مدى استطاعت الدواوين الشعرية النيجيرية إثراء اللغة العربية في ظل المستجدات المنهجية والمعرفية المعاصرة لا سيما تلك المتصلة بالعرفانية؟

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية ـ جنوب الصحراء ـ الدواوين الشعرية ـ نيجيريا ـ العرفانية ـ

مقدّمة:

كان للفتح الإسلامي الأثر البارز في نشر اللغة العربية في عديد الدول الإفريقية، كما هو الحال في نيجيريا التي عاشت فيها العربية الفصحى متأرجحة بين التقدم والتأخر، وبين الاستعمال والتهميش، مع ذلك تفردت الأعمال النيجيرية بدورها الايجابي في الحفاظ على تراثها اللغوي العربي العريق، لا سيما الدواوين الشعرية التي ترجم بعضها إلى اللسان العربي الفصيح، فأسست بذلك لبوادر فكر عربي له سماته المشتركة مع الدواوين الشعرية العربية؛ ولأنّ الشعر لا يمكن أن ينفصل عن الخيال، والخيال مستمد من الذاكرة والتجربة، وتعكسه اللغة في أعلى مستويات الإبداع، يمكننا القول: إنّ فهم الشعر يبدأ من التحكم في آليات الفهم والإدراك، وهذا الأخير من اهتمامات العرفانية اللسانية المعاصرة، والتي قدّمت آليات علمية في تحليل اللغة مماثلة لآليات قراءة الحاسوب للمعرفة اللغوية وتفسيرها وإنتاجها.

سنحاول من خلال هذا المقال، ووفق منهج وصفي تتخلله آليتي التحليل والعرفان؛ تسليط الضوء على استثمار الشعراء لآليات الإدراك العرفانية في التمثيل لتجاربهم وواقعهم، والتي تبرز بشكل واضح مساعي هؤلاء الشعراء لتعزيز الحضور العربي الفصيح في الكتابة الإفريقية، ومواكبتها لمختلف مناحي التطور الرقمي، وبالتالي ضمان مستقبل أفضل للغة العربية في صحراء إفريقيا، وهو موضوع مقالنا، والذي يشكل محاولة للإجابة عن بعض التساؤلات، وهي :

- كيف هو وضع اللغة العربية والشعر في نيجيريا؟
- ما السمات التي تفرد بها الشعر العربي في نيجيريا؟
- كيف يبدو مستقبل اللغة العربية في البلد النيجيري؟
- فيم تتمثل أبرز التنوعات العرفانية في الدواوين الشعرية العربية النيجيرية؟

1. الشعر واللغة العربية في نيجيريا:

اللغة العربية لغة سامية ذات أهمية كبرى في العالم العربي وخارجه، ونشأت هذه اللغة في شبه الجزيرة العربية، وانتشرت بفضل الفتوحات الإسلامية والتجارة والترجمة وغير ذلك، وكان للعربية تأثيرها في مختلف الثقافات في دول آسيا وإفريقيا وأوروبا، وتعتبر لغة القرآن الكريم ولغة مختلف الشعائر الإسلامية، تتفرد بغناها اللغوي والأدبي والعلمي، وتعترف بها أكثر من سبعة وعشرين دولة كلغة رسمية، كما أنّها إحدى اللغات الست الرسمية في الأمم المتحدة.

ومما لا شك في أنّ الدول الإفريقية احتضنت اللغة العربية وحاولت توفير البيئة المناسبة لها في مؤسساتها بمختلف تخصصاتها، لا سيما مؤسسات ومراكز العلوم الدينية والأدبية؛ تأثرا بالفتح الإسلامي ومخلفاته، وتعد دولة نيجيريا من الدول الإفريقية التي كان لها حظها من الفتوحات الإسلامية، "ويرجع دخول الإسلام في شمال نيجيريا إلى ما قبل القرن الحادي عشر في كانم برنو، والرابع عشر الميلادي في ولايات هوسا، يقول بعض المؤرخين إنّ الإسلام ورد على كَنَو . ولاية كبيرة من ولايات بلاد

هوسا . في القرن الرابع عشر" (رحمة بنت أمحمد، 2015، صفحة 113)، وكان هذا من بين الأسباب التي أسّست لأعمال تفنن أصحابها في خدمة لغة القرآن وإثرائها، خاصة ما يتعلق بالشعر وفنونه، "وقد اتسم هذا الشعر بالكثير من السمات الأدبية والنقدية" (أحمد، 2024، صفحة 19)، ويظهر ذلك من خلال الدواوين الشعرية النيجيرية ذات الصيت في الثقافتين العربية والغربية.

ويمكن ايجاز العوامل التي كان لها الدور الايجابي في ازدهار العربية والأعمال الشعرية في دولة نيجيريا في النقاط الآتية:

أ . التجارة: لطالما كانت التجارة أساس الرقي الحضاري، وفي نيجيريا تمكنت العلاقة التجارية القائمة بين العرب وشمال نيجيريا في حوالي القرن السابع الميلادي وازدهارها مع بداية القرن الحادي عشر من التمهيد للعربية وثقافتها في هذا البلد الإفريقي، كما توسعت الرقعة التجارية وفتحت المجال للاحتكاك اللغوي مما دفع بالعربية للتوغل أكثر ، وهذا جعل الأدباء النيجيريين يغترفون من الدواوين الشعرية العربية الأصيلة ما يرضي قريحتهم الأدبية، كما قدموا محاولات جليلة تعكس ما يتمتع به النيجيريون من ذائقة شعرية وأذن موسيقية (رحمة بنت أمحمد، 2015، صفحة 116/115).

ب . إنشاء الكتاتيب والمدارس والمعاهد والجامعات: ككل بلد مسلم احتضن الإسلام ولغته، قامت الدولة النيجيرية بإنشاء مؤسسات تكفل التعلم الجيد للعربية وفنونها . لاسيما الشعر العربي . "وتكاثرت المدارس العربية الحديثة التي تنهض بالشعر العربي الحديث في المجتمع الهوساوي واليورياوي، وقلما يوجد بلدة من بلدانها المسلمة إلا وتوجد فيها مدرسة تغذي عقول الطلبة وتصقل خيالهم بتعليمهم عيون الشعر العربي، ثم ظهرت في منتصف القرن العشرين المعاهد العليا والجامعات، ومنها جامعة أحمد بللو في زاريا (1962م)، وجامعة عثمان دن فوديو بصكوتو (1975م)، وجامعة أدو بايرو بكنو(1977م) (رحمة بنت أمحمد، 2015، صفحة 119)، لكن مع مرور الوقت حلّت الأزمات التخطيطية في نيجيريا؛ وذلك بسبب ما مرّت به من تحولات السياسة اللغوية، فقد كانت العربية تحتل المرتبة الأولى، كونها اللغة الرسمية والديوانية والتعليمية، وذلك قبل الاستعمار الإنجليزي، لكنّها تراجعت بعد الاستعمار لتحل مكانها اللغة الإنجليزية في الدواوين الدولية (شعيب، 2023، صفحة 52).

وحول قضية الشعر في البلد النيجيري، تجدر الإشارة إلى أنّه " من أغراض الشعر العربي التي طرقها العلماء والفقهاء في نيجيريا: الشعر التعليمي، فقد نظموا فيه، واستخدموه في نشر الثقافة العربية، وبث التعاليم الإسلامية" (أبيكن، دون تاريخ، صفحة 19)، فهو لا يعين على تعلم اللغة العربية ونظم الشعر ونشر الإسلام فحسب، بل له الدور البارز في التمكن من مختلف علوم اللغة الأخرى، إلى جانب النهوض بالاقتصاد الوطني. والشاعر النيجيري مرّ في طور نشأته ببيئتين فكريتين، هما (أبيكن، دون تاريخ، صفحة 09/08):

- ✓ **البيئة الإسلامية العامة:** وهي مستمدة من تعاليم الدين الإسلامي وفضائله، وتكون في المدارس الإسلامية ومجالس الوعظ والإرشاد التي تكتظ بها نيجيريا.

- ✓ **البيئة التعليمية الخاصة:** وتتمثل في البيئة التي توفر تعليم في مختلف الأطوار، تسيرها المنظومة التعليمية، وتخضع لضوابط، والذي يميز شعراء البيئتين؛ أنّهم متأثرون بشعراء العصر الجاهلي وشعراء عصر صدر الإسلام، مثل: امرئ القيس، النابغة الذبياني، عنترة بن شداد، حسان بن ثابت وغيرهم.

إنّ تنوع البيئة أسهم في انقسام الشعراء إلى فريقين، الفريق الأول هو: الشعراء المطبوعون، يتسم لسانهم بالفصاحة، متمكنون من العربية واستعمالها، متشبعون بالتراث العربي، مطلعون على دواوين الشعراء العرب، متأثرون بما جادت به هذه الدواوين، ينظمون الشعر بشكل سليقي، فتولدت أشعارهم في هيئة رصينة ومتسقة، أما الفريق الثاني فهو: فريق المتوسطون، وهم أكثر عددا من الفريق الأول، وأقل مستوا منهم نظمًا واطلاعًا، تتأرجح أشعارهم بين الجودة والرداءة.

ج . البعثات العلمية وترجمة الدواوين الشعرية وطباعتها: كان للبعثات العلمية دورها في صقل اللسان النيجيري لأجل اكتساب اللغة العربية الفصيحة؛ حيث "بدأت الدول العربية بفتح سفاراتها في البلاد فسنح ذلك فرصة توافد الأساتذة العرب، خصوصا من مصر والسودان والسعودية إلى المدارس النظامية التي ظهرت في منتصف القرن العشرين إلى أوائل الستينيات منه، كمدرسة الشريعة في كنو المؤسسة عام (1937م)، والتي غير اسمها إلى مدرسة العلوم العربية عام (1947م)، ومركز التعليم العربي الإسلامي الذي أسّسه الشيخ آدم عبد الله الإلوري سنة (1952م)، بأبيكوتا أولا ثم انتقل إلى أغيغي ثانيا عام (1954م) (إبراهيم، 2012، صفحة 02).

كما كانت للترجمة أهميتها في تعريف الأدباء النيجيريون بالشعر العربي، وأسهم أيضا توفير الطباعة من تشجيع الشعراء؛ حيث أراح القراء والكتاب من كآبة النسخ وما يسببه من جهد وإهدار للوقت، وسهّلت المطابع تناول المنتجات الشعرية وانتشارها بين القرّاء والمتعلمين، وحفظتها من الانقراض والمحو، ومن أشهر المطابع التي أسهمت في وفرة المؤلفات الأدبية . شعرها ونثرها . مطبعة دار الأمة لوكالة المطبوعات بكَنَو، ومطبعة جامعة إبادن، ومطبعة كَيْوُلَيْرَيْ" (رحمة بنت أمحمد، 2015، صفحة 121).

د . المعاهد والنوادي الإبداعية: نقصد بذلك ما حققته "المعاهد البحثية والمراكز الثقافية والحلقات العلمية والجمعيات اللغوية وأنشطة الزوايا من الانفتاح الثقافي والمعرفي واللغوي في القارة السمراء؛ حيث تعقد المؤتمرات والورشات والندوات التعليمية والثقافية والتاريخية والفكرية واللغوية" (شعيب، 2023، صفحة 67)، وهذه المؤتمرات سنحت بتبادل المعارف واكتساب خبرات، كما عرفت بالشعر النيجيري العربي وأثبتت حضوره عربيا ودوليا، ومن السمات التي تفرد بها الشعر العربي في نيجيريا، ما هو موضح في الجدول:

جدول 1 . نوادر الشعر العربي النيجيري:

السمة	ماهيتها وأمثلتها
أبيات مجردة من النقط	أسهب شعراء نيجيريا في مدح الرسول . صلى الله عليه وسلم . في دواوينهم الشعرية، وقدسوا حديثه؛ لأنّه المصدر الثاني للشريعة الإسلامية بعد القرآن الكريم، وتفرد بعض الشعراء باقتراض قصائد في المدح النبوي مع خلوها من الحروف ذات النقط، مثال عن ذلك ما أورده الشيخ محمد الناصر الكبري الكنوي النيجيري (1912 . 1996م)، يقول: أعلى سلاما لأعلى الرسل إعلاما وأكرم الرسل أحلاما وإسلاما محمد أحمد المحمود حامده المملإ الروح أسرارا وأحكاما
أشعار أعجمية نيجيرية مكتوبة بالحرف العربي	بعد دخول العربية بلاد نيجيريا أخذ بعض العلماء يكتبون لغتهم بالحروف العربية؛ أي تعريب لغتهم المحلية بدافع الغيرة الإسلامية، وأطلقوا على هذه الكتابة: (الكتابة الأعجمية)، مثال عن هذا النوع من الشعر في الثناء على الله وحبيبه المصطفى: ناغ ود الرحمان سركي وندبي كوتا يبي كوونم و اربا يابا مسلمي شي يبيتو كافري نن مونيا بحطام بي ذابي ارحيم سركن جنقى رن لاحرا سي الصالحين أكي بي باكووابا
المناظرة	عرف الشعر العربي في نيجيريا فن المناظرة أيضا، وهي مجادلة شعرية بين شاعرين حول موضوع علمي أو قضية أدبية، على نحو مناظرة آل فودي ومصطفى غوني، منها قول آل فودي: عليك منا تحيات مباركة شمس مسكا وسكا من يلاقونا أيا ابن فوديو قم تنذر أولي الجهلا لعلهم يفقهون الدين والدونا فرد مصطفى غوني: يا أيها ذا الذي قد جاء يرشدنا سمعا لما قلت فاسمع أنت ما قلنا نصحت جهدك لكن ليت تعذرنا وقلت سبحان هذا كان بهتانا
تفسير الكلمات المماثلة على ضوء الترادف اللغوي	كأن يتم اختيار كلمات بها حرف الظاء، وتفسيرها واستنباط دلالتها بكلمات مألوفة وبسيطة؛ بهدف تمكين الطلاب من استيعاب المفردات وإثراء المعجم اللغوي لديهم، إلى جانب تبسيط أسلوب تعلم اللغة العربية، كما هو الحال في رائية الوزير جنيد الصكتي النيجيري، يقول: أيا طالب تفسير ما كان مشكلا عليه ورام الحفظ خذ ما تيسرا فظمياء أنثى زين فوها بسمرة ولثتها فافهم وكن من تبصرا

نظم الشعر على نظم القرآن	أسهمت الحركة الصوفية في نشر الإسلام واللغة العربية بنيجيريا، ولجأ بعض الشعراء في هذا البلد إلى نظم الشعر وفق الآيات القرآنية، وهي نوع من التقرب إلى الذات الإلهية والدعاء والتضرع لها، من أبرز هؤلاء الشعراء؛ الشيخ الوزير جنيد الصكتي، يقول: فررت إلى ربي العليم بحالتي ليكفيني من كل سوء وشدة إليه اشتكائي لا إلى غيره ولاأزال أناديه نهاري وليلتي نمد بأيدينا إليك تضرعا ونطلب منك اللطف في كل حالة
توظيف الدواوين الشعرية في تعليم البلاغة	وهو من أنماط الشعر التعليمي التي عرفها الفكر النيجيري، ومن علمائه الذين برعوا فيه؛ الشيخ عبد الله بن فودي في القرن التاسع عشر، والشيخ آدم عبد الله الإلوري في القرن العشرين.
ابتكار بيت شعري	وهو بحر استحدثته الشاعرة النيجيرية السيدة رقية، وهي جدة مؤسس الدولة الإسلامية بالعاصمة صكتو؛ الشيخ عثمان بن فودي، واطلقت السيدة رقية على هذا البحر(بحر الكريم)، تفعيلاته: فاعلن فعولن أربع مرات، ومن أبياته: الكريم يقبل تائبا أتاه لا يخاف بخسا كل من رجاه بالعذاب يجزى من عصى ويخزي لا ينال عزا من تبع هواه
القصائد الشاردة	وهي قصائد غير معروف أصحابها، وتعمد بعض الشعراء في نيجيريا إلى تجريد قصائدهم من أسمائهم، ولعل السبب يعود إلى خوفهم من مواجهة طعن الطاعنين

(أبيكن، دون تاريخ، صفحة 27/11)

2. مستقبل اللغة العربية في ظل العرفانية:

اللسانيات العرفانية من الفروع اللسانية المعاصرة، ووفقا لهذا الفرع؛ تعتبر اللغة نظاما معرفيا يعكس الطريقة التي يفكر بها الناس ويتفاعلون بها مع العالم، وبالتالي تتأثر اللغة بكل ما ينتجه هذا العالم، والعرفانية يمكن وصفها وليدة التكامل بين عدة علوم ومعارف، كعلم اللسانيات والذكاء الاصطناعي وعلم النفس المعرفي والأنثروبولوجيا وغير ذلك، ويمكن استثمار العرفانية في إثراء اللغة العربية بآليات ومنهجيات متعددة، منها:

2. 1. دراسة الوسائل الفنية وربطها بالفعل الإدراكي: أي تسليط الضوء على الصور الشعرية والرموز والإشارات والاستعارات وكل ما يعبر عن الخبرة الشعرية والصور الفنية التي يحاول الشاعر تجسيدها من خلال لغته؛ ذلك أنّ "التحليل اللساني الذهني للتصورات والمفاهيم عند الإنسان يرتبط بقوة بسيميولوجيا التواصل، وبطبيعة الثقافات الحاضنة لمختلف الألسن" (محمد ع.، 2022، صفحة 89)؛ أي أنّ إدراك اللغة في الميدان العرفاني يتم وفق مستويين؛ مستوى لغوي ومستوى رمزي، ودلالتهما تختلف باختلاف الثقافات، فاللسان يعكس ثقافة الإنسان وإدراكه.

2. 2 . دراسة السياقات والظروف والمقاصد: فالعرفانية تبرز العلاقة الوثيقة بين اللغة والمتكلم والمستمع والموقف والمقصد، فهي لا تتعامل مع اللغة على أنّها نظام مجرد من الواقع، بل تعتبرها أداة تفاعلية تستخدم لتحقيق أهداف معينة في سياقات محددة، وبالتالي، العرفانية اللسانية تهتم بدراسة كيفية تأثير العوامل الذهنية والثقافية والاجتماعية على استخدام اللغة وفهمها وتعلمها وتأويل مقاصدها،.

2. 3 . ربط اللغة العربية بالحوسبة مما يجعل منها لغة مطواعة: وهنا نشير إلى مجال تستند إليه العرفانية في معالجتها للغة، وهو مجال الذكاء الاصطناعي، الذي تتعدد مجالاته، منها "معالجة اللغة الطبيعيّة، من قبيل التعرف على الأصوات الصادرة من شخص بعينه أو من أشخاص كثر، لإنجاز عدد من الأعمال المبرمجة أو تحويل المنطوق إلى مكتوب وما إلى ذلك" (الزناد، دون تاريخ، صفحة 19)، فهذا النوع من المقاربة مكنت من تطويع اللغة العربية للحاسوب، وبالتالي إثبات علميتها، فهي لغة تستند إلى المنطق الرياضي، ونظامها ينبني على مستويات تكاملية، يمكن تحليلها بشكل آلي ومعالجتها وفهمها وإنتاجها.

2. 4 . البحث في التجربة اللغوية وانعكاساتها على الواقع المعاصر: لأنّ تفسير اللغة يبدأ من تفسير البيئة المحيطة بإنتاجها، كما أنّ ذلك يبرز كيف تتأثر الهوية اللغوية بتأثر الهوية البشرية، وكيف تأخذ اللغة من مخرجات العصر، وكيف تتراكم المعرفة اللغوية بتراكم التجارب الإنسانية، فالتجربة ليست مجرد موقف معاش في فترة زمنية معينة، بل هو حمولة من الخبرات التي توجه الإنسان وفق اتجاه معين، كما أنّ الذاكرة عبارة عن جهاز واصف للوقائع والأحداث ومخزن للغة وأسس استعمالها، وكل هذه القضايا من صميم العرفانية.

2. 5 . الإسهام في تعليمية اللغة العربية: من خلال دراسة مختلف تجليات التفاعل "المتبادل بين اللغة والذهن والثقافة بصورة عامة، وإمكانات هذه العلاقة في تطوير فهم لغة الإنسان، بما يسمح بمزيد من تطوير استراتيجيات تعلّمية اللغة، وبناء الأطالس المصورة، وإرساء قواعد بيداغوجية وديداكتيكية مُطوّرة، تسهم في تحسين الصناعة المعجمية" (محمد ع.، 2022، صفحة 55)، ومما لا شك فيه أنّ تعلم اللغة يستدعي جهازا عصبيا قائما على استحضار مختلف المعارف اللغوية وغير اللغوية في المواقف التعلمية.

3. العرفانية وتنوعاتها في الدواوين الشعرية النيجيرية :

إنّ مستقبل اللغة يحدده مدى مرونة ألفاظها وتراكيبها واستجابتها لمختلف المناهج والآليات المعاصرة، واللغة العربية الفصحى من اللغات التي تم التشكيك في علميتها، خاصة مع ما واجهته في ظل الرقمنة، وجاءت العرفانية لتبحث في تموقع اللغات وبرمجتها، وكان للعربية حظها من هذا المشروع اللساني المعاصر، وهي فرصة للعربية في الدول غير المتحدثة بها لتصنع لنفسها مكانا ثابتا يواكب الاستعمال، وهذا ما نلحظه في الدواوين الشعرية النيجيرية التي اتخذت طابعا لغويا إدراكيا يعكس البعد العرفاني التجديدي ومختلف تنوعاته، ومن أمثلة ذلك:

3. 1 . الاستعارة الحية:

يُقصد بالاستعارة الحية تلك الوحدات الذهنية المتمخضة عن تكامل فكرتين أو أكثر، تجمعها سمات مشتركة، ويتولد عنها عملية ذهنية تصورية تفسر مجال لغوي من خلال مجال واقعي مماثل له (غيلوس، 2020، صفحة 100/80)، والذي يميز هذه الاستعارة عن الاستعارة البلاغية أنّها لا تحتاج إلى قرينة خيالية تفسرها، فالصورة المقابلة مستمدة من الواقع، ويمكن للحذق لغويا وغير الحذق استيعابها، وهي حاضرة في الشعر العربي النيجيري، عاكسة لبراعة الشعراء النيجيريين في تمثيل التجارب والمواقف، ومثال عن ذلك، قول الشاعر ناصر علي الخوّاص كبر (ناصر ، دون تاريخ، صفحة 01):

أُخِيْطَ مِنْ السَّحابِ قُماشَ طُهْرٍ

يُبَلِّلُ دَاخِلي فَأَسِيلُ طِيْنَا

وفي ثِقَة أَلُوذُ بِكُلِّ شَيء

يُنَمي الوَعيَ وَالعَقْلَ الرَّزينا

هذه الأبيات الشعرية تعبر عن تجربة روحية تمزج الخيال والواقع، وتستخدم الاستعارة الحية كوسيلة للتواصل بين الذات والآخر، والاستعارة الحية كما أسلفنا الذكر نوع من الاستعارات التصورية التي تعتمد على العلاقة بين الشكل اللغوي والمعنى، وتنطوي على تحويل شيء ملموس إلى شيء مجازي بواسطة اللغة، فهي بنية دلالية تصورية تقوم على الإدراك بالدرجة الأولى، وتسعى إلى تفسير كيفية فهم متحدث اللغة للمعنى المقصود وسبل تفكيكه وإعادة هيكلته (شيماء، 2021، صفحة 03)، وفي الأبيات يستعير الشاعر السحاب للتعبير عن القماش الطاهر؛ أي كفن الموت الذي يُلف به الراحل إلى عالم الموتى، كأنه غيمة من السحاب الطائر، والطُهر يعني النقاء من الشوائب والآلام، واستخدم الخياطة كرمز للإبداع والتجديد؛ لأنّ الانتقال من عالم آني إلى عالم آخر مبهم يقتضي انتقالا من حال إلى حال، كما استعار الشاعر الدموع لتفسير حالة التلاشي في التراب بعد الدفن، كما لو انّ الجسد ذاب بسبب الدموع وأصبح طينا، والإنسان مخلوق من طين ويدفن في الطين ليصبح جزءا منه، والدمع يحيل أيضا إلى الندم على ما فات من فرص ومنافع، أما في البيت الثاني يستعير الشاعر الثقة للتعبير عن الملجأ والحماية من كل شيء؛ ويستخدم الملاذ للانسحاب والعزلة، ليصل بذلك إلى مرحلة النضج والحكمة التي تتطور في ظل اعتزال العالم، وهي منتهى الإدراك بثمرة التجارب الحياتية.

3. 2 . نظرية الأطر:

نظرية الأطر نظرية لسانية عرفانية أسّس لها شارلز فيلمور، وهي "تجسد العمل الإجرائي للنظرية العرفانية فتفسر الأبنية اللغوية من خلال أطرها، فكل بنيات اللغة لها أطر مفهومية معرفية ذهنية تحددها اللغة، واللغة لها إطار يحكمها، فالكلمة لها إطارها والجملة لها إطارها والخطاب له إطاره" (صلاح الدين، 2021، صفحة 261)، ويمكن توضيح ذلك من خلال نموذج شعري من ديوان (كجرح الشهيد) للشاعر النيجيري عبد الرحمان بَغَارَاوَا (بَغَارَاوَا ع.، 2023، صفحة 14/13)، يقول:

وَأَنْتَ

أَيُّهَا الحِقْدُ المضَلَّلُ

لِمَاذَا تُلاَزِمُ(سَيْتُوبْلاَزِم)

ومَا كُنْتَ تَصْنَعُ فِي (الرَّيْبَسُوْم)

وهَل تَتَحَوَّلُ يَا(بَوْلْمِرَاز)

إلى مُنتَجَاتِ الملاَيين

لِتَبْنِي عُصُورَ الصَّقيع

يمكن تحديد الأطر الذهنية التي تنطوي عليها الأبيات من خلال:

أ . تحديد الإطار العام: وهو إطار الوباء أو فيروس كورونا، والذي يحمل معاني سلبية ومهددة للحياة.

ب . تحديد الأطر الفرعية أو الداخلية: وهي الأطر العلمية التي تستخدم مصطلحات متخصصة لوصف طبيعة وآلية عمل الفيروس، مثل: السيتوبلازم والريبسوم والبوليمراز والملايين وعصور الصقيع.

جـ . تحديد العلاقات بين الأطر الفرعية والإطار العام: وهي علاقات من التناقض والتعارض والتساؤل والانتقاد؛ حيث يستخدم الشاعر لغة العلم لوصف الفيروس، ككائن حي محتال يتطور بشكل سريع، وهو مدمر، متسائل عن دوافعه وأهدافه ونتائجه.

د . تحديد الدلالات الإجرائية للنص: وهي الدلالات التي تنشأ من تفاعل اللغة والذهن والواقع، وتعكس موقف الشاعر ومشاعره ورؤيته للموضوع، ومن هذه الدلالات: الاستهجان والاستنكار والاستغراب والاستفهام والاستنتاج والتنبؤ والتحذير والتهديد والتشاؤم والتعبير والتأثير والتأويل والتقييم وغير ذلك.

وبهذا نكون قد فسرنا الأبيات وفق أطر عرفانية تهدف إلى فهم المعنى من خلال الأطر المفهومية والمعرفية التي ترسمه وتحدده وتترجمه، وهي من السبل الحاسوبية لاستخراج دلالات الجمل والنصوص، خاصة تلك التي تتعدد دلالاتها أو تتقاطع مع دلالات تراكيب أخرى.

3. 3 . الجسدنة :

مما لا شك فيه أنّ الجسد أخصّ من الجسم؛ حيث "لا يُقال الجسد لغير الإنسان من خلق الارض ونحوه وأيضا فإنّ الجسد ما له لون والجسم يقال لما لا يبين له لون كالماء والهواء" (الراغب، دون تاريخ، صفحة 93)، ومنه تشكلت معالم التنظير اللساني المجسدن الذي يربط بين اللغة والتجربة والفضاء الذهني لدى الإنسان، ويعتبر أن اللغة والمعنى ينبثقان من التجارب الجسدية والحسية للذات البشرية، واللغة حسب هذه النظرية تستخدم استعارات ورموز تعكس العلاقة الوثيقة بين الجسد والعالم، وبين الإنسان وقيمته في

المجتمع، مما يسهم في خلق أبنية لغوية جديدة (صلاح الدين يحي، 2021، صفحة 251)، فالجسدنة استثمار للجسد لتجسيد حالة نفسية أو رؤية تصورية، كما في قول الشاعر ناقة الله (عبد الفتاح، 2023، صفحة 23):

محمد أشرف الأعراب والعجم محمد خير من يمشي على قدمِ

فهذا البيت الذي أورده الشاعر ناقة الله يعود إلى قصيدة المحمدية لشرف الدين البوصري، ويمثل صورة فنية مدحية للحبيب المصطفى ـ عليه أطيب الصلوات والتسليم ـ وهي تصف فضائله ومكانته، والشاعر اقتبس هذا البيت لوقعه على النفس المسلمة، واشتماله على الدلالات التي تعكس مكانة النبي، فهي وصف لشرفه وتفوقه على جميع المخلوقات التي تمشي على قدمين، ووظف الشاعر عضو جسدي وهو (قدم)، الذي يشكل دعامة الإنسان في وقوفه وتقدمه، ودون القدم تُشل الحركة، والقدم من الإقدام على فعل الخير أو الشر، وتسوق الإنسان إلى مصيره، وبالقدم تقاس المساحات، والعجيب في هذا العضو أنّه "لا تكاد توجد عظام في قدمي الطفل الرضيع" (فيونا شاندلر، 2008، صفحة 20)؛ أي إنّ هيكل الرضيع يتكون حينها من غضاريف، ثم تتحول هذه الغضاريف إلى عظام صلبة بشكل تدريجي، فالعظام ثقيلة وهذا يُجهد الأم في فترة الحمل، كما أنّ صلابتها قد تؤدي إلى ضرر داخلي للأم الحاضنة، والجنين يحرك قدميه بشكل مستمر وكثرة الحركة مع قوتها فيها أذية، والله سبحانه وتعالى جعل الليونة في الأعضاء الأكثر صلابة لحكمة ربانية.

والقدم تأخذ أيضا عدّة دلالات تختلف باختلاف السياقات المتحكمة في توجيه المعنى، مما يولد فضاءات ذهنية متباينة، منها (الراغب الأصفهاني، دون تاريخ، صفحة 397):

- التقدم والتأخر باعتبار الزمانيين القديم والحديث.
- الشرف نحو فلان متقدم على فلان؛ أي أشرف منه.
- ما لا يصح وجود غيره إلا بوجوده.
- الطاعة والخضوع، ففي ديننا الإسلامي الحنيف تحيل القدم إلى الجنة، فالجنة تحت أقدام الأمهات؛ أي أن نيل الجنة يكون في الخضوع لطاعة الوالدين والامتثال لأمرهم السديد، كما يرمز غسل قدم الضيف إلى الكرم والضيافة في الحضارة العربية، ويحمل دلالة الترحيب أيضا.
- العورة، ففي الإسلام تعتبر القدم جزء من العورة التي يجب تغطيتها أثناء تأدية العبادة.

وهذه الفضاءات يمكن التمثيل لها على هذا النحو :

شكل 1 . الفضاءات الذهنية للقدم في البيت الشعري:

المصدر(من إعداد الباحثين)

يمكن أن نلحظ في هذا البيت الأفضية الذهنية المتلاحمة لتشكيل الإدراك التام للمقاصد العميقة، وهو ما يمكن استثماره في الحوسبة اللغوية لبلوغ المعنى الضمني الذي تحمله الألفاظ وفق سياقات استعمالها.

ومن النماذج المعبرة عن الفكر المجسدن أيضا في الدواوين الشعرية النيجيرية، قول أمين إبراهيم محمد (محمد، 2023، صفحة 205):

قلمً القَصيدةِ حارس لذِمَارِكُم وبِكَفِه تَتَآلَفُ الأرحام

نلحظ في هذا البيت استخدام الشاعر أعضاء جسدية لتصوير الموقف، فهو يعبر عن دور القلم والقصيدة في الحفاظ على الهوية والعرض وكل نفيس، فبهما يواجه المرء السلبية بالإيجابية، والموت بالحياة، والظلم بالعدل، والقبح بالجمال، والتخلف بالتقدم، والاستعباد بالحرية، والكف عضو جسدي يرمز إلى العطاء والقوة والاحتواء، وهذا ما يفعله كل من القلم والقصيدة في تمثيل الواقع واحتواء مختلف تناقضاته، أما الأرحام فهي ترمز إلى العلاقات بمختلف تجلياتها، كما ترمز للحياة والتكاثر، والقلم يولد أعمالا فنية وحضارية تتآلف فيها الكلمات والمقاصد والعلاقات، وهذا النوع من الأعمال تفتح المجال للمخيال الرقمي الذي أصبح ملاذا للكثير من المبدعين؛ حيث اتخذوا الصورة جنبا إلى جنب مع الكلمة لضبط التأويل في حدود ما يسمح به النص.

3 . 4 . نظرية النحو العرفاني: وهي نظرية عرفانية تسعى إلى هدف منشود، وهو "ردُ الاعتبار لكل الأبنية اللغوية منها البنية الصوتية والبنية الصرفية والبنية الدلالية كلها ذات اعتبار مركزي كما هو الحال بالنسبة للبنية النحوية" (صلاح الدين، 2020، صفحة 77)، وبذلك تتحرر اللغة من العلامة الاعرابية ونظرية العامل التي كانت لازمة للتركيب اللغوي العربي طيلة عصور، ونقل تحليل اللغة إلى مستوى الإدراك، وسنوضح ذلك من خلال أبيات للشاعر عبد الرحمان عمر، يقول (بَغَارَاوَا، حين تتكسّر القصَبة، 2022، صفحة 14):

وَأَسْعَى

وَأَسْعَى

وَأَسْعَى

وَحِيْدًا

لِأَبْحَثَ فِي الكَوْنِ

هَل مِن بَقَّايَا

ولتحليل البيت الشعري وفق نظرية النحو العرفاني لابد من تحديد الأبنية اللغوية المستخدمة في البيت، مثل الكلمات والتراكيب، وتحديد الدلالات المرتبطة بكل بنية لغوية، مثل المعاني الحرفية والمجازية والدلالات الثقافية والسياقية، إلى جانب تحديد التصورات والعمليات الذهنية التي تنطوي عليها كل بنية لغوية ودلالاتها، مثل الصور الذهنية والمفاهيم، وباستخدام هذه المنهجية يكون تحليل البيت على هذا النحو:

أ . البيت مكون من جملة واحدة تحتوي على كلمات: وأسعى، وأسعى، وأسعى، وحيدا، لأبحث، في الكون، هل، من، بقايا.

الكلمات الثلاث الأولى هي تكرار لفعل(أسعى)، وهو فعل مضارع مبني للمعلوم، يدل على الحركة والجهد والطموح، والكلمة الرابعة هي حال منصوب يدل على الحالة النفسية والاجتماعية للمتكلم، وهي الوحدة والانفراد والعزلة، والكلمة الخامسة هي لام الغرض، تعبيرا عن الغاية من السعي، أما الكلمات الأربعة الأخيرة، فهي جملة اسمية مبتدأها محذوف تقديره هو الكون، وخبرها هو: (هل من بقايا)، وهي جملة استفهامية تدل على الشك والتساؤل والبحث عن جواب، أما الكلمة السادسة هي اسم مفرد مجرور بحرف الجر (في)، دلالة على المكان والمجال الذي يسعى فيه المتكلم، والكلمة السابعة هي حرف الاستفهام(هل) يحيل إلى الاستعلام والتحقيق، بينما تحيل الكلمة الثامنة إلى اسم مجرور بحرف الجر (من)، يدل على الجزء من الكل، والكلمة التاسعة هي اسم مفرد مجرور، يشير إلى ما تبقى من شيء بعد فنائه.

ب . الأبنية اللغوية والدلالات المستخدمة في الأبيات: تنطوي على تصورات وعمليات ذهنية معقدة ومتنوعة، فالتكرار يعبر عن التأكيد والحماسة والإصرار والتمسك بالهدف، والوحدة تعبر عن الحزن واليأس والضعف والحاجة إلى الدعم والمساندة، والبحث يعبر

عن الفضول والرغبة في الاكتشاف والمعرفة والحلول، والكون يعبر عن الفسحة والاتساع والغموض وجمال الخلق، والاستفهام يعبر عن الشك والحيرة والتعجب والاندهاش، والبقايا تعبر الفناء والانقراض والضياع والندم.

وبهذا نكون قد حللنا الأبيات وفق نظرية النحو العرفاني التي تعين على فهم اللغة والمعنى في إطار إعمال العقل بشكل عميق وممنهج.

الخاتمة:

نستخلص مما تم عرضه أنّ اللغة العربية لها حضورها في الثقافة النيجيرية، على الرغم من كونها ليست اللغة الرسمية، وتبرز جهود العلماء النيجيريين في الحفاظ على اللغة العربية في دواوينهم الشعرية ذات البعد الديني الإسلامي، ولم يكتف هؤلاء العلماء بما تلقوه من فن نظم الشعر العربي المتعارف عليه فحسب، بل تفردوا في نظمهم، ومن السمات التي تفرد بها الشعر العربي في نيجيريا: أشعار أعجمية نيجيرية مكتوبة بالحرف العربي، أبيات مجردة من النقط، تفسير الكلمات المماثلة على ضوء الترادف، القصائد الشاردة، نظم الشعر على نظم القرآن، ابتكار بيت شعري أطلق عليه (البحر الكريم)، استخدام الأشعار لتعليم علم البلاغة وغير ذلك.

وتفتح اللسانيات العرفانية مجالات معاصرة في التعامل مع اللغة العربية وعلومها، منها: دراسة السياقات والظروف والمقاصد التي تؤثر في إدراك الخطاب اللغوي، دراسة الوسائل الفنية وربطها بالفعل الإدراكي، تطويع اللغة العربية للحوسبة، البحث في التجربة اللغوية وانعكاساتها على الواقع المعاصر، الإسهام في الرقي بميادين تعليمية اللغة العربية، كما كان لها دورها في استنباط قراءات معاصرة للدواوين الشعرية وفق تصور ينبني على مستويات الإدراك المختلفة.

ومن تجليات التنوعات العرفانية في الدواوين الشعرية العربية النيجيرية: نظرية الجسدنة، نظرية الاستعارة العرفانية أو الاستعارة الحية، نظرية الأطر، نظرية النحو العرفاني وغير ذلك، وتمكن الشعراء النيجيريون من خلال آليات الإدراك العرفانية من التمثيل لتجاربهم وواقعهم، وإبراز مساعيهم لتعزيز الحضور العربي الفصيح في الكتابة الإفريقية، وإثبات مواكبتها لمختلف مناحي التطور الرقمي، وبالتالي ضمان مستقبل أفضل للغة العربية في صحراء إفريقيا.

قائمة المراجع المعتمدة

1 . الأزهر الزناد. (دون تاريخ). نظريات لسانية عرفنية (د ط). الدار العربية للعلوم ناشرون ودار محمد علي للنشر ومنشورات الاختلاف.

2 . أمين إبراهيم محمد. (2023). مائة شاعر نيجيري مختارات من الشعر العربي النيجيري خلال القرن الواحد والعشرين (ط01). زاريا، نيجيريا: دار العربية للنشر والتوزيع.

3 . الراغب الأصفهاني. (دون تاريخ). المفردات في غريب القرآن (كتاب الجيم) تح: محمد سيد كيلاني. بيروت، لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.

4 . رحمة بنت أحمد ومحمد جامع. (2015). الخصائص العامة للشعر العربي في ولايتي هوسا وبورما: نظرات مقارنة. مجلة التجديد، 19(37).

5 . سليم حمدان وشيماء دوادي. (2021). الاستعارة التصورية عند عبد القاهر الجرجاني من خلال كتابه أسرار البلاغة. مجلة آفاق العلوم، 06(04).

6 . صلاح الدين يحي ولامية قداش. (02 12, 2021). اللسانيات العرفانية والمحتوى الإجرائي لنظرية دلالة الأطر في المداخل المعجمية. 05(02).

7 . الصالح غيلوس. (2020). مباحث لسانية عرفنيّة (ط 01). العلمة، الجزائر: مطبوعات البدر الساطع للنشر والتوزيع.

8 . فيونا شاندلر. (2008). جسم الإنسان. تر: أحمد محمود (ط02). مدينة نصر، مصر: دار الشروق.

9 . طه علي خليفة أحمد. (2024). سمات الشعر التعليمي ودوره في تعليم العربية لغير الناطقين بها. دوريةعلمية محكمة، كلية الآداب، جامعة أسوان.

10 . عبد الرحمان عمر بَغَارَاوَا. (2022). حين تتكسّر القصَبة (ط01، الديوان الخامس). نادي نيجيريا الأدبي وبيت القصيد نيجيريا.

11 . عبد الرحمان عمر بَغَارَاوَا. (2023). كجرح الشهيد (ط01). نادي نيجيريا الأدبي وبيت القصيد نيجيريا.

12 . عبد الرحمان محمد طعمة محمد. (2022). التفسير العرفاني للظواهر المعجمية والدلالية . دراسة في الأنساق الثقافية والتواصلية. مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، 82(02).

13 . عبد القادر أبعولا محمد الأول. (2023). مائة شاعر نيجيري مختارات من الشعر العربي النيجيري خلال القرن الواحد والعشرينن قصيدة جرح النسوان (ط01). زاريا، نيجيريا: دار العربية للنشر والتوزيع.

14 . علي الخواص كبر ناصر (المالكي). (دون تاريخ). آخر خيط من ذاكرة التاريخ. نيجيريا.

15 . لطيف أونيريتي إبراهيم. (20 03, 2012). اللغة العربية وثقافتها في نيجيريا من 1960 م إلى 2009م. أعمال المؤتمر الدولي للغة العربية بعنوان: اللغة العربية في أفريقيا.

16 . محمد ببلو عبد الفتاح المشهور بـ (ناقة الله). (2023). مائة شاعر نيجيري مختارات من الشعر العربي النيجيي خلال القرن الواحد والعشرين، قصيدة (ط01). زاريا، نيجيريا: دار العربية للنشر والتوزيع.

17 . مصطفى إبراهيم شعيب. (12 09, 2023). التخطيطات اللغوية وتعليمية اللغة العربية في نيجيريا بين الواقع والمأمول. مجلة الخليل في علوم اللسان، 03(01).

18 . موسى عبد السلام مصطفى أبيكن. (دون تاريخ). النوادر في الشعر العربي التيجيري.

19 . يحي صلاح الدين. (2020). نظرية النحو العرفاني مستوى الثالوث من الأبنية ذات التّكون الجيّد (الدلالة، التركيب، المعجم). مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، 02.